... فكُنْ في الشِّعر حَسَّانا...

خرج كعب وبُجير ابنا زهير بن أبي سلمىٰ حتىٰ أتيا أبرقَ العزّاف[1] ، فقال بُجيرٌ لكعب: اثبُت في غنمنا هذا حتىٰ آتي هذا الرجل ـ يعني رسول الله ﷺ ـ فأسمع ما يقول ، فثبت كعب وخرج بجير.

فجاء رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام ، فأسلم فبلغ ذلك كعْباً فقال: فذكر أبياتاً من الشّعر ، فلما بلغت الأبيات رسول الله ﷺ أهدر دمه ، فقال: «من لقي كعباً فليقتلهُ».

فكتب بذلك بجيرٌ إلىٰ أخيه يذكرُ له أن الرسول ﷺ قد أهدر دمه ويقول له: النّجا ، وما أراك تفلتُ ، ثم كتب إليه بعد ذلك: اعلَمْ أن رسول الله لا يأتيه أحدٌ يشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله إلاّ قبِلَ ذلك ، فإذا جاءك كتابي هذا فأسلم وأقبِل ، فأسلم كعب وقال قصيدة يمدح فيها رسول الله ﷺ ، ومنها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... مُتيّمٌ إثرها لم يُفد مكبولُ
نُبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمولُ
مهلاً هداكَ الذي أعطاك نافلة ... القرآن فيها مواعيظٌ وتفصيلُ
لا تأخذنّي بأقوال الوشاة ولم ... أُذنب ولو كثُرت فيّ الأقاويلُ
إنّ الرسولَ لنورٌ يُستضاء به ... مهنّدٌ من سيوف الله مسلولُ
في فتيةٍ من قريشٍ قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زُولوا

ثم أقبل كعب بن زهير حتىٰ أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله ﷺ ، ثم

---

(١) هو: ماءٌ لبني أسد ، وهو في طريق القاصد إلىٰ المدينة من البصرة.

دخل ، وكان الرسول ﷺ مع أصحابه ، متحلّقون حوله حلقةً دون حلقة ، يلتفتُ إلىٰ هؤلاء مرّةً فيحدّثهم وإلىٰ هؤلاء مرة فيحدّثهم .

وتقدم كعب حتىٰ جلس بين يدي رسول الله ﷺ ، ثم وضع يده في يده ، وكان الرسول ﷺ لا يعرفه ، فقال كعب : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابلٌ منه إنْ أنا جئتكَ به؟

فقال رسول الله ﷺ : «نعم» .

قال كعب : أنا يا رسول الله كعب بن زهير[1] .

أجل يا رسول الله!

فبعد أن أهدرتَ دم كعب ، قبلتَ توبته وإسلامه ، وسامحته ، ثم خلعتَ عليه بردتك وهو يُنشد القصيدة الرائعة ، والتي أُطلق عليها فيما بعد (البردة) :

هـو الـرسـول فكـن في الشّعـر حسّـانـا وصـغ مـن القلـب فـي ذكـراه ألحـانـا
ذكـرىٰ النبـيّ الـذي أحيـا الهـدىٰ وكسـا بـالعلـم والنـور شعبـاً كـان عـريـانـا

* * *

(١) المستدرك : ٣/ ٥٧٩ ، دلائل البيهقي : ٥/ ٢٠٧ ، سيرة ابن هشام : ٤/ ١٨٩ .